

الفصل الأول:

الخصائص المميزة لتفسير المنار

د. محمد الزغول (*)

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن ورقتي تتناول محاور متنوعة تتصل بعصر الشيخ محمد رشيد رضا والعوامل التي أثّرت في بناء شخصيته، وجهوده الإصلاحية والعلمية، لاسيما في كتابه تفسير المنار، الذي أرى أن العلماء والباحثين لم يوفوه حقّه؛ لأن في هذا التفسير خير كثير، ويشتمل على قضايا مهمة ونفيسة، وفيه لفتات رائعة، وتوجيهات سديدة، فيحتاج منا إلى مزيد من البحث والدراسة، وتسيّط الضوء عليه، للإفادة مما جاء فيه، خصوصاً في هذه الحقبة الزمنية من تاريخ أمتنا.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أعالجه في النقاط الآتية:

أولاً: التعريف بتفسير المنار.

ثانياً: أهمية تفسير المنار.

ثالثاً: تأثير تفسير المنار بالسابقين.

رابعاً: منهج المؤلف في التعامل مع القرآن.

خامساً: الأسس التي قام عليها تفسير المنار.

(*) دكتوراه في أصول الدين، أستاذ مساعد، جامعة مؤتة، الأردن.

المبحث الأول: التعريف بتفسير المنار:

يقوم تفسير المنار على ثلاثة رجال:

أولهم: السيد جمال الدين الأفغاني، الذي انقدحت عن فكره نظرية وجوب إصلاح المجتمع الإسلامي، برجوع المسلمين إلى منبع الدين، وتلقيه من هناك صافياً مبرئاً عما اتصل به من الشوائب.

والثاني: الإمام محمد عبده الذي باشر فعلاً تفسير القرآن العظيم على طريقة تطبيق النظرية التي دعا إليها السيد جمال الدين الأفغاني، وكان ذلك في الدروس التي ألقاها الإمام محمد عبده في بيروت، بين سنة ١٣٠١ وسنة ١٣٠٣هـ، ثم الدروس التي ألقاها في مصر في السنين الست الأخيرة من حياته: ما بين سنة ١٣١٧ وسنة ١٣٢٣هـ، وتناولت من أول القرآن العظيم إلى نهاية الآية الخامسة والعشرين بعد المائة من سورة النساء، وهي قوله تعالى: ﴿وكان الله بكل شيء محيطاً﴾.

والثالث: الشيخ محمد رشيد رضا، الذي أشار على الأستاذ الإمام محمد عبده تفسير القرآن، وألح عليه في ذلك، حتى أقنعه أن يواصل في مصر ما ابتدأه في بيروت، وتولّى تقييد ما يملّيه الشيخ محمد عبده وتلخيصه، وإدراج ما يراه مناسباً من بيانه، ثم نشره تباعاً في مجلته المنار، التي اشتهر التفسير باسمها، ثم أتم الشيخ رشيد التفسير استقلالاً من حيث انتهى الشيخ محمد عبده حتى المجلد الثاني عشر.

وعليه فالمؤلف الحقيقي للتفسير هو العلامة الشيخ محمد رشيد رضا^(١).

ويقع تفسير المنار في اثني عشر مجلداً، ابتداءً بتفسير سورة الفاتحة، وانتهاءً بالآية الثانية والخمسين من سورة يوسف، ويسمى تفسير القرآن الحكيم. واشتهر بتفسير المنار نسبة إلى المجلة التي كان ينشر فيها. والتفسير مطبوع ومتداول، والطبعة التي بين

(١) عاشور، محمد الفاضل، التفسير ورجاله، المكتبة العصرية، بيروت، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص ١٦٧-١٦٨.

أيدينا منسوبة لدار المعرفة - بيروت، ولم أقف على غير هذه الطبعة. وقد ابتدأ كل جزء من أجزائه بهذا التقريظ: تفسير القرآن الحكيم، تفسير سلفي أثري، مدني عصري، إرشادي، اجتماعي، سياسي، وهو التفسير الوحيد الجامع بين صحيح المأثور، وصريح المعقول، وتحقيق الفروع والأصول، وحلّ جميع مشكلات الدين، ودحض شبهات الماديين والجاحدين، وإقامة حجج الإسلام، وبيان سياسته المثلى في إصلاح الأنام، مع حكم التشريع، وسنن الله في الاجتماع، وكون القرآن هداية عامة للبشر في كل زمان ومكان، وحجة الله البالغة، وآيته المعجزة الخالدة، ويوازن بين هدايته وما عليه المسلمون في هذا العصر من الضعف والعجز، وقد أعرض أكثرهم عنها، وما كان عليه سلفهم من السيادة والعزة إذ كانوا معتصمين بحبلها، بما يثبت أنها هي السبيل لسعادة الدنيا والدين، مراعى فيه: السهولة في التعبير، مجتنباً كثرة مزج الكلام باصطلاحات العلوم والفنون، بحيث يهتدي به العامة، وهو منتهى طلبة الخاصة، وهذه هي الطريقة التي توخاها في دروسه في الأزهر حكيم الإسلام الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده قدس الله روحه.

المبحث الثاني: أهمية تفسير المنار:

يعد تفسير المنار من التفاسير المهمة، وذلك لأسباب كثيرة منها:

أولاً: إن تأليفه كان في نهاية القرن التاسع عشر، وهي من الفترات العصيبة التي مرّت بها الأمة، فقد أفل نجم النشاط والحيوية وافتتن الناس بالحياة المادية، وظهر المنار ليواجه الجمود الذي خيّم على الشرق من جهة، وافتتان الناس بالحضارة الغربية من جهة أخرى، فأوضح العلاج الناجح والبلسم الشافي.

ثانياً: دعا تفسير المنار إلى إصلاح أوضاع المسلمين في شتى مناحي الحياة وسلك طرقاً شتى في هذا السبيل منها:

أ- جمع كلمة الأمة، وطَيَّ بساط الجدل في المسائل العقدية، التي كثيراً ما يؤدي الخوض فيها إلى تفرق الصف و الاختلاف.

ب- الاستفادة من العلوم العصرية مع المحافظة على هوية المسلمين وحضارتهم وأصالتهم.

ج- إخراج الأمة من التخبط في أمر الدنيا والدين، وإرشادها إلى طريق الحق والصواب بهدي كتابها الخالد القرآن الكريم.

د- عرض الحلول المناسبة لما استجد من وقائع ومشكلات في الحياة الإسلامية.

هـ- الدفاع عن الإسلام بوصفه نظاماً صالحاً لكل زمان ومكان.

ثالثاً: يعدّ تفسير المنار التطبيق العملي لدعوة الإصلاح في المجتمع الإسلامي التي نادى بها كل من جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا .

رابعاً: ثراء المنهج لتأثر مؤلف المنار بأعلام المفسرين والمفكرين المحددين في التاريخ الإسلامي كابن تيمية وابن القيم والغزالي وابن خلدون وغيرهم.

المبحث الثالث: تأثير تفسير المنار بالسابقين:

كان للعلماء المفسرين السابقين تأثير واضح في تفسير المنار؛ إذ نلّمح نصوصاً عديدة لهؤلاء المفسرين، أثّرت في تفسير المنار وعملت على عمل تأصيل الأفكار التي جاء بها الشيخ رشيد رضا، وفيما يلي شذرات من هذا التأثير:

أ- تأثير المنار بابن تيمية وابن القيم:

كان ابن تيمية، مع حرصه على التفسير بالمأثور، يغوص وراء المعاني المصلحية. مستنبطاً علل الأحكام، متعرفاً على غاياتها ومراميها، وهو يرى أنه لا تعارض بين تمسكه بالمأثور، والغوص وراء المعاني، ويعلق على ما روي من تحرج بعض السلف في التفسير بقوله: "فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه"^(١).

كما يُلاحظ على تفسير ابن تيمية أنه بذل جهداً في البحث عن حلول ناجحة لمشكلات عصره وقضايا مجتمعه التي عاشها و اكتوى بنارها، فكان حين يعرض لمشكلة ما، يجمع كل الآيات التي تتعلق بها في القرآن، ثم يورد ما شاء من الأحاديث، الموضحة الشارحة، ثم يأتي بنصوص السلف من الصحابة والتابعين، فيجمع في علاجه للمشكلة الواحدة بين نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف.

فكان تفسيره بذلك أقرب ما يكون إلى التفسير الموضوعي للقرآن إن لم يكن هو كذلك^(٢).

ومثله في ذلك تلميذه ابن القيم الذي احتطّ لنفسه منهجاً مزيداً، يقوم على إبراز الوحدة الموضوعية المتكاملة للسورة القرآنية، تلك الوحدة التي تربط أركان السورة بعضها إلى بعض لتخدم الأهداف التي أنزلت من أجلها، والتي يمكن أن تكون أساس فهم جديد لآياتها، بحيث يربط بين أجزائها ربطاً محكمًا، جاعلاً كل آية تأخذ بحجز

(١) ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٥٠.

(٢) ابن تيمية، دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، تحقيق الدكتور محمد السيد الجليند، دار الأنصار، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص ٨.

الآية الأخرى لتؤدي في النهاية إلى خدمة الهدف الذي ترمي إليه السورة. ولا يمنعه هذا التعمق في بعض النواحي البلاغية أو النحوية أو الكلامية، ولكن بعد إعطائنا الصورة الحية للآية أو الآيات^(١).

وقد تأثر تفسير المنار بطريقتهما، وأول ما يلفت النظر تشابه العصرين، من حيث الانحرافات والمزالق الفكرية التي هددت الأمة. فإن تأثر الناس بمناهج البحث اليونانية آنذاك، لا يقل في خطره عن تأثرهم بالحضارة الغربية في العصر الحديث. كما أن حالة الضعف التي سبقت العهد الذي نحن بصددده، يتمثل ذلك في تفرق الكلمة نتيجة التعصب، بسبب كثرة المذاهب و تباينها، والتقليد في تبعية لا تخضع لترو أو فهم لآراء أرباب الفرق والمذاهب، مع الاعتقاد بصنوف البدع والخرافات، إلى جانب سلبية واضحة في الحياة، باتباع التصوف المنحرف، وتحكم عقيدة الجبر.

فعمل تفسير المنار على نقل الأمة من حالة الضعف و الركود إلى حالة النشاط والقوة، وحارب البدع والخرافات وحمل على التقليد، ويّين أن الطريق إلى القوة والرفعة يكون بنبذ ذلك كله والتمسك بالقرآن كأساس موحد بين المسلمين، وإيجابية دافعة في الحياة.

كما يعدّ ابن القيم رائداً للمنار بإبراز الوحدة الموضوعية المتكاملة للسور القرآنية؛ إذ اهتم بتقديم الإطار العام للأهداف السامية التي جاءت السورة لتعالجها، ومن ذلك على سبيل المثال أننا نلاحظ التشابه الكبير بين الفكرة الأساسية في كل من مقدمة ابن القيم لسورة الفاتحة ومقدمة تفسير المنار^(٢).

(١) عبد الرحيم، عبد الغفار، الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير، القاهرة، دار الأنصار، ١٤٠٠هـ/—/١٩٨٠، ص ٣٧.

(٢) السنباطي، محمد أحمد، منهج ابن القيم في التفسير، مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٨هـ/—/١٩٧٣م، ص ٨٤، فما بعدها.

ب- تأثر صاحب تفسير المنار بالغزالي:

اتفق صاحب المنار مع حجة الإسلام في أن التفسير النقلي لا يكفي لمعرفة كتاب الله، وأن كتاب الله مصدر كل علم، وأنه يجوز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر عقله وعلمه. وأن هذه القاعدة قد حررت الناس من قيود الماضي، وحملتهم على التفكير في كتاب الله تعالى. كما أنه سار على منهج الغزالي في عدم مخالفة النص الصريح، أما إن كان النص غير صريح أو غير ثابت فلا يرى الوقوف عنده من غير فهم له^(١).

ومما يدل على تأثر المنار أيضاً بأفكار الغزالي، ما ذكره "جولد تسيهر" أنه قاد أعنف الحروب على التقليد وعلى الزوائد المتفرعة عن الفقه، وسخر من ضروب التعمق في افتراض الصور والأحوال، ومن فروق المذاهب، كما ألقى وزناً راجحاً للتشيع، بمعنى التهذيب الخلقي والعمل بروح التشريع في تعاظم الدين، بدلاً من أداء العبادات على وجه صوري آلي. فعارضت مدرسة المنار الروح الصورية السائدة للمذهب السني المحافظ، حتى في تناول أسس الإسلام الخمسة. فأقامت في وجهها المطالب الخلقية التهذيبية السائدة في القرآن والحديث^(٢).

وقد نجد في تفسير المنار أبواباً بكاملها من كتاب الإحياء إما بنصّها أو بمعناها، ومن أمثلة ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى^(٣): ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١)، كما نقل في الجزء الثالث من تفسيره أراء الغزالي في أسباب اختلاف المسلمين^(٤)، ورأيه في الربا^(٥)، وموقفه من صفات الله تعالى^(٦)، ورأيه في الشكر والتوكل^(٧).

(١) عبد الرحيم، عبد الغفار، محمد عبده ومنهجه في التفسير، القاهرة، ص ٣٧-٤٢.

(٢) جولد تسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار، دار اقرأ، ط ٢، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٤٢٤.

(٣) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج ٣، بيروت، دار المعرفة، ص ٢٨٤-٢٨٧.

(٤) المرجع السابق، ج ٣، ص ١٢.

(٥) المرجع السابق، ج ٣، ص ١١٠.

ج- تأثر مؤلف تفسير المنار بابن كثير:

إن تأثر رشيد رضا بابن كثير أمر طبيعي؛ لأنهما ينتميان لمدرسة واحدة وهي مدرسة ابن تيمية التي حاربت التقليد والتعصب المذهبي، كما يظهر تأثر رشيد بابن كثير من خلال اهتمامه بالرواية، والتوفيق بين النصوص المتخالفة في الظاهر، والعناية بأحداث التاريخ المتعلقة بالقرآن، والاهتمام بالأبحاث الأصولية والتفريعات الفقهية.

وكثيراً ما كان صاحب المنار ينقل آراء ابن كثير في سياق الإكبار والإعجاب، خصوصاً في المتشابه من القرآن، وما تعددت فيه آراء المفسرين^(٣).

د- تأثر مصنف المنار بابن خلدون:

يُعدّ ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع بحق، وقد تناول في مقدمته الشهيرة أسس العمران والاجتماع وما إلى ذلك.

والباحث في تفسير المنار يقف على مدى تأثره بنظرياته في ذلك؛ إذ يشير في تفسيره لكثير من الآيات إلى أسباب قيام الدول وانحطاطها، وخضوع ذلك لظواهر اجتماعية لا تقل في نظامها وانضباطها عن الظواهر الكونية. كما تأثر بمنهجه في التاريخ الذي يقوم على نقد الأخبار وتمحيصها، وعرضها على القوانين الصحيحة للتاريخ قبل التسليم بها، فإن للتاريخ قوانين يخضع لها في روايته وأخباره^(٤).

وكثر في تفسير المنار الحديث عن سنن الاجتماع وسنن الله في الخلق، مدعمة بالشواهد والأمثلة مع الحرص الشديد على إيقاظ المسلمين.

(١) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج٤، ص١٩٩.

(٢) المرجع السابق، ج٣، ص٢٩، عبد الله محمود شحاتة، منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم، دار مطابع الشعب، ص٢٣١-٢٣٦.

(٣) تفسير المنار، ج١، ص٥٨٣.

(٤) شحاتة، عبد الله محمود، منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم، ص١٦٥-١٦٨.

المبحث الرابع: منهج المؤلف في التعامل مع القرآن:

من المفيد قبل البدء بتحديد أبرز سمات هذا المنهج أن نلقي ضوءاً على مقدمة تفسير المنار؛ إذ بينت السبب في تأليف هذا التفسير، والنهج الذي اختطه في تأليفه. وقد بين المؤلف المقصد الأسمى من التفسير وهو: فهم كتاب الله من حيث هو دين، يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة. ثم تحدث عن وجوه التفسير وهي: النظر في أساليب الكتاب ومعانيه واشتماله على أنواع البلاغة. والإعراب دون توسع. وتبع القصص دون زيادة فيه مع التفريق بين الغث والسمين. وغريب القرآن. والأحكام الشرعية. والكلام في العقائد. والمواعظ والرفائق. والتفسير الإرشادي أو الباطني.

على أن الإكثار في مقصد من هذه المقاصد يخرج بالكثيرين عن المقصود من الكتاب الإلهي، ويذهب بهم مذاهب تنسيهم معناه الحقيقي وما فيه من دعوة إلى التهذيب وإلى تطلّع أرواح الناس إلى ما فيه سعادتهم والقضاء على جهالتهم حيث نزل القرآن للناس جميعاً وهم مطالبون بالنظر فيه بقدر طاقاتهم^(١).

ثم تحدث عن مراتب التفسير، وقسمها إلى مرتبتين^(٢):

الأولى: وأطلق عليها المرتبة الدنيا، وهي أن يبين بالإجمال ما يُشرب القلب عظمة الله وتنزيهه، ويصرف النفس عن الشر ويجذبها إلى الخير وهذه ميسرة لكل واحد.

الثانية: وسمّاها المرتبة العليا وتمثل فيما يأتي :

أولاً- فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن: بحيث يحقق المفسر ذلك من استعمالات أهل اللغة بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله، أو يجمع ما تكرر من الألفاظ في مواضع وينظر فيه، وأن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معني

(١) تفسير المنار، جـ ١، ص ١٧-١٩.

(٢) المرجع السابق، جـ ١، ص ٢١-٢٤.

اللفظ موافقته لما سبق له من القول واتفاقه مع جملة المعنى وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته.

ثانياً- الأساليب: فينبغي أن يكون عنده من علمها ما يفهم به هذه الأساليب الرفيعة. وذلك يحصل بممارسة الكلام البليغ مع التلطف لنكته ومحاسنه والوقوف على المراد منه.

ثالثاً- علم أحوال البشر: بما فيه من أحوال الخلق وطبائعه والسنن الإلهية فيه وأطواره وأدواره ومناشئ اختلاف أحوالهم.

رابعاً- العلم بوجهة هداية البشر كلهم بالقرآن: من وجوب معرفة ما كان عليه الناس في الجاهلية وعصر النبوة، وكيف كان القرآن هادياً لهم ومخرجاً لهم من الظلمات إلى النور.

خامساً- العلم بسيرة النبي ﷺ: وأصحابه وما كانوا عليه من علم وعمل. ثم قسّم التفسير إلى قسمين^(١):

الأول: جاف مبعد عن الله وكتابه وهو ما يقصد به حلّ الألفاظ وإعراب الجمل، إلخ. وهذا لا يسمى تفسيراً وإنما هو ضرب من التمرين.

الثاني: التفسير الذي يذهب فيه المفسر إلى فهم المراد من القول وحكمة التشريع في العقائد والأحكام على الوجه الذي يجذب الأرواح ويسوقها إلى العمل والهداية تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿هَدَىٰ وَرَحْمَةً﴾ (الأعراف: ٥٢)، فالملقود هو الاهتداء بالقرآن. وقد جعل الأستاذ الإمام هذا الغرض هو الغرض الأول من التفسير.

(١) تفسير المنار، ج ١، ص ٢٤-٢٥.

ثمّ تحدث الشيخ رشيد رضا عن التفسير - حالته وما يجب أن يكون عليه - وأننا سوف نسأل يوم القيامة عن هذا الكتاب، كيف فهم وكيف تحقق غرض الهداية والإرشاد.

ثم تناول معرفتنا بالقرآن، والحالة التي يعيش الناس فيها، والطريقة التي يعاملون الناس فيها، والطريقة التي يعاملون بها القرآن وقسمها قسمين:

الأول: اتخاذ القرآن - بالاعتقاد الباطل - تعويذة وشافياً للأمراض عن طريق كتابته وشرب هذه الكتابة، وجعله معبوداً لهم على هذا الفهم السيئ.

الثاني: أحوال الناس وطريقتهم عند سماع القرآن وبعدهم عن فهمه بالتدبر والنظر والتفكير فيه.

ثم وصل إلى أن جاهلية اليوم أشد من جاهلية الأمس، وأن العرب مع شدة طباعهم انحنوا تحت لواء القرآن بجاذبيته الفائقة، ثم دعا إلى دراسة اللغة التي هي أهم أسباب فهم القرآن وحفظه بينهم، وإبراز أوجه إعجازه ودقة بيانه حتى تكون بذلك ملكة الذوق العربي التي يتوقف عليها فهم القرآن.

وختم كلامه بقوله: أقول الآن إن القرآن هو حجة الله البالغة على دينه الحق، فلا بقاء للإسلام إلا بفهم القرآن فهماً صحيحاً..

وإننا نعتقد أن المسلمين ما ضعفوا وزال ما كان لهم من الملك الواسع، إلا بإعراضهم عن هداية القرآن، وأنه لا يعود إليهم شيء مما فقدوه من العز والسيادة والكرامة إلا بالرجوع إلى هدايته والاعتصام بحبله^(١).

(١) تفسير المنار، ج ١، ص ١٧-٢٥، وعبد الرحيم، عبد الغفار، الإمام عبده ومنهجه في التفسير، ص ١٦٧-١٧٠.

المبحث الخامس: الأسس التي قام عليها تفسير المنار: وأهمها:

أولاً- الوحدة الموضوعية:

ومعناها أن آيات السورة الواحدة تتحدث عن فكرة واحدة، فالسورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره ويتراعى بجمليته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة وأنه لا غنى لتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية^(١).

يقول الدكتور محمد البهي: "والتفسير الموضوعي ليس تفسير جملة من الآيات.. ولا استخلاص مضمونها في وحدة قرآنية واحدة، وإنما هو استخلاص مضمون الكتاب ككل من نظرة موضوعية شاملة مرة.. أو استخلاص موضوع محدد كمنهج القرآن في تطوير المجتمع أو موقف القرآن من المادية مرة أخرى.. أو استخلاص هدف السورة الواحدة وما عنيت بإبرازه في إطار الدعوة كلها مرة ثالثة^(٢)".

وفكرة الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم حظيت باهتمام عدد من المفسرين قبل صاحب المنار على نحو متفاوت، كالنيسابوري^(٣) والرازي^(٤) وابن العربي^(٥)، وابن القيم الذي وظفها في تفسيره للقرآن^(٦) متأثراً بأستاذه ابن تيمية^(٧)، كما أشار إليها

(١) دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم ص ١٥٩، دار القلم، الكويت، ط ٢، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

(٢) البهي، محمد، نحو القرآن، ص ٨٩.

(٣) ذكر صاحب الإتقان أن النيسابوري أول من أظهر علم المناسبة وكان غزير العلم، يقرأ عليه القرآن ويسأل: لم جعلت هذه الآية إلى جانب هذه الآية؟ ج ٣، ص ٣٦٩-٣٧٠.

(٤) قال الفخر الرازي في سورة البقرة: من تأمل في لطائف نظم هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بفصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بترتيبه ونظم آياته.

(٥) قال ابن العربي بأن ارتباط أي القرآن علم عظيم... انظر البرهان ج ١، ص ٣٦، والإتقان ج ٣، ص ٣٦٩.

(٦) الندوي، محمد أويس، التفسير القيم لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ومحمد أحمد السباطي، منهج ابن القيم في التفسير، ص ٨٤-١١٨.

(٧) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، ص ٣٨٦.

الشاطبي^(١) في موافقاته، ثم جاء برهان الدين البقاعي^(٢) وتحدث عنها حديثاً عظيماً في (نظم الدرر في تناسب الآي والسور).

وقد عمل محمد عبده على إحياء هذه الفكرة وطبقها في تفسيره وكذا رشيد رضا فمسلكه في تفسير المنار أكبر شاهد على ذلك فهو يصرح بهذه الفكرة في أكثر من موطن فيه كقوله "من نظر في ترتيب السور كلها في المصحف يرى أنه قد روعي في ترتيبها الطول و التوسط والقصر في الجملة، ومن حكمته أن في ذلك عوناً على تلاوته وحفظه..

ولكن في كل قسم من الطوال والمئين والمفصل تقديماً لسور قصيرة على سور أطول منها، ومن حكمة ذلك أنه قد روعي التناسب في معاني السور، التناسب في السور، أي مقدار الطول والقصر"^(٣).

وبعضي في بيان تناسب المعاني بين السور الطوال: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام^(٤) بما يؤكد أن الوحدة الموضوعية سواء في السورة القرآنية الواحدة أم في القرآن الكريم ككل من أبرز سمات المنهج في تفسير المنار.

ثانياً- تجلية الهداية القرآنية:

لاشك أن القرآن الكريم خاصة، والكتب السماوية عامة، جاءت لتخرج الناس من الظلمات إلى النور وتدلهم على الطريق القويم الذي يحقق أمنهم وسعادتهم في دنياهم وآخرتهم، وقد مر بنا أن الأستاذ رشيدا قد أوضح في مقدمة تفسيره أن المقصد الأعلى من التفسير هو فهم الكتاب من حيث هو دين، وهداية من الله للعالمين، جامعة بين بيان ما يصلح به أمر الناس في هذه الحياة الدنيا وما يكونون به سعداء في الآخرة.

(١) الشاطبي، أبو إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، ج٣، ص٤١٢-٤٢٠، ط٢، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

(٢) هو إبراهيم بن عمر البقاعي، نسبة إلى البقاع من بلاد سوريا، مؤرخ أديب، ت ٨٨٥هـ ... البدر الطالع ج١، ص١٩.

(٣) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج٧، ص٢٨٧.

(٤) المرجع السابق، ج٧، ص ٢٨٨-٢٨٩.

وقد تميز تفسير المنار بالتركيز على تحليلية الهداية القرآنية، وذلك ما يلمحه القارئ في أكثر المواضع من هذا التفسير، فلا نكاد نجد آية من الآيات، إلا ويحاول أن يبين ما فيها من هداية للناس، وهداية القرآن ذاتها في غاية الوضوح والكمال، فكيف إذا هياً الله لهذا الكتاب غيوراً ذا فهم يجعله قريباً من الناس^(١)، وقلماً سيّلاً وأسلوباً جذاباً، وهذا ما اجتمع في محمد عبده وتلميذه رشيد رضا رحمهما الله تعالى.

ويكاد يكون هذا الأساس قاعدة عريضة يندرج تحتها كثير من الأسس التي حكمت هذا المنهج، كما يتضح من هذه الدراسة.

ثالثاً- يسر العبارة وسهولة الأسلوب:

الناظر في تفسير المنار يدرك دون عناء يسر عبارة الشيخ رشيد وسهولة أسلوبه، ولا عجب في ذلك، فقد أعطي حظاً وافراً في الكتابة، لذا ظهر على تفسيره طابع الأسلوب الخطابي، وإلى جانب هذا مادة علمية غزيرة، ويقدم كل هذا يقدمه للقارئ من غير تقعر في الألفاظ، أو جفاف في المعاني فيتقبلها القلب والعقل^(٢). وهذا هو شأن من يجعل غايته تفهيم الناس وإفادتهم ومن ثم هدايتهم.

رابعاً- شمول القرآن وعمومه:

إن من أهم مزايا القرآن الكريم التي اختصه الله تعالى بها من بين الكتب السماوية أنها جاءت لقوم بعينهم و لزمان معين، وجاء القرآن للناس كافة إلى قيام الساعة.

وكان تفسير المنار مستوعباً لهذا الأمر إذ جاء فيه: " أن القرآن هاد و مرشد إلى يوم القيامة، وأن معانيه عامة وشاملة، فلا يعد ويوعد ويعظ ويرشد أشخاصاً

(١) عباس، فضل حسن، اتجاهات التفسير في العصر الحديث في مصر و سوريا، رسالة مخطوطة مقدمة للأزهر

الشريف لنيل درجة الدكتوراه عام ١٩٧٢م، ص ٢٣١.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢٧-٢٨٣.

مخصوصين وإنما نيط وعده ووعيده وتبشيره وإنذاره بالعقائد والأخلاق والعبادات والأعمال التي توجد في الأمم والشعوب^(١).

ويقول الأستاذ رشيد رضا: "فإن كان مات من كانوا سبب النزول فالقرآن حي لا يموت، ينطبق حكمه و يحكم سلطانه على الناس في كل زمان"^(٢).

ومن أمثلة ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ (البقرة: ٨)، فيقول: "هذه الآيات التي نحن بصدد تفسيرها الآن هي المبينة لحال الفرقة الرابعة وهي فرقة من الناس توجد في كل آن و في كل عصر، وليست الآيات كما قيل في أولئك نفر من المنافقين الذين كانوا في عصر التزييل، ولذلك قال الله تعالى في بيان حالهم ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر﴾ ولم يقل عنهم إهم يقولون مع ذلك (آمنا بك يا محمد) وما كان القرآن الكريم ليعتني بأولئك نفر الذين لم يلبثوا أن انقرضوا كل هذه العناية، ويطيل في بيان حالهم أكثر مما أطل في الأصناف الثلاثة الذين هم سائر الناس، نعم إن الآيات على عمومها تتناول من كان منهم في عصر التزييل تناولاً أولياً، وتصف حالهم وصفاً مطابقاً، وهي مع ذلك عبرة عامة شاملة لمن مضى ولمن يجيء من هذا الصنف إلى يوم القيامة"^(٣).

خامساً - الاهتمام باللغة وآدابها بوصفها وجهاً من وجوه الإعجاز:

حوى تفسير المنار كثيراً من اللفظات والنكات البلاغية اللطيفة، كما تحدث كثيراً عن إعجاز القرآن، فعقد فصلاً رائعاً في تحقيق وجوه الإعجاز بدأه بالحديث عن إعجازه بأسلوبه ونظمه وبلاغته، وتأثيره في القلوب والعقول، ثم ذكر إعجازه بأخبار الغيب فيه، وتعبيره عن المعاني بما يقبله المختلفون في فهمها مع موافقة الحق وسلامته

(١) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، جـ ١، ص ١٧٩.

(٢) المرجع السابق، جـ ١، ص ١٥٣.

(٣) المرجع السابق، ج ١، ص ١٤٨-١٤٩.

من الاختلاف، وبالعلوم الدينية والتشريع وبعجز الزمان عن إبطال شيء منه، وتحقيق مسائل كانت مجهولة للبشر. وتحدث طويلاً عن إعجاز القرآن بأسلوبه ونظمه^(١).

وإلى جانب المباحث البلاغية فإنّ تفسير المنار غني بالمباحث اللغوية^(٢) التي تنم عن سعة اطلاع ورسوخ قدم ودقة فهم للعربية وأسرارها، وإذا كان يقف مع أعلام البلاغة يناقشهم ويأخذ ويرد عليهم فإنه أيضاً يواجه النحويين، ويلوم على من يخضعون القرآن لمذاهبهم النحوية فيجعلونها أصلاً يحملون القرآن عليها.

ويهدف تفسير المنار في بحثه للمسائل اللغوية والبلاغية إلى تجلية هدايته بإثبات إعجازه، يقول صاحب المنار: "كل ما أمرنا به القرآن وأرشدنا إلى النظر فيه، فالاشتغال به اشتغال بالقرآن.. ولا يتعظ الإنسان بالقرآن فتطمئن نفسه بوعده وتخضع لوعيده إلا إذا عرف معانيه، وذاق حلاوة أساليبه، ولا يأتي هذا إلا بمزاولة الكلام العربي البليغ مع النظر في بعض النحو كنحو ابن هشام، وبعض فنون البلاغة كبلاغة عبد القاهر^(٣)، وبعد ذلك يكون له ذوق في فهم اللغة يؤهله لفهم القرآن. قال الإمام أبو بكر الباقلاني: "من زعم أنه يمكنه أن يفهم شيئاً من بلاغة القرآن دون أن يمارس البلاغة بنفسه فهو كاذب مبطل"^(٤).

ويتجلى هدفه من المباحث البلاغية بصورة أوضح حتى يرى الناظر فيها أنه لم يلتزم فيها الشرح البلاغيّ حول تحديد التشبيه والاستعارة والكناية في دائرة البيان، لا، ولكنه التزم الإشراف الآخذ في لفظه، والتنسيق المرئي في تفكيره وتحديد المعاني المراد

(١) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج ١ ص ١٩٨-٢٠٣، ج ٨ ص ٩، ج ٩ ص ٣٧١-٣٧٤.

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص ١٨٦-١٨٧، ج ٢ ص ٣٣٢-٣٣٤ و ٣٩٣، ج ٧ ص ٣٨٣-٣٨٥، ج ٩ ص ٤١٩-٤٢١، ج ١٢ ص ١٦٩-١٧٠.

(٣) في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، فكل منهما مصداق جلي لاسمه.

(٤) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج ١، ص ١٨٢.

إثباتها، بحيث تطالعك روح البلاغة وجوهرها متجلياً متأنقاً في قوالب من المعاني القرآنية الهادية، فإذا بك تخلص من كل ذلك بتذوق جديد على فهم جديد بأسلوب جديد^(١).
كما أنه يجمع بين الإعراب والبيان في نسق فني مبدع لا تحس فيه بتعمُّل ولا تشعر بإجهاد^(٢).

سادساً- القرآن هو المصدر الأول للتشريع مع بيانه لحكمة التشريع:

لقد ركّز تفسير المنار على أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع. يقول الأستاذ رشيد رضا: إن القاعدة القطعية المعروفة عن أنزل عليه القرآن ﷺ وعن خلفائه الراشدين رضي الله عنهم، أن القرآن هو الأصل الأول لهذا الدين، وأن حكم الله يلتمس فيه أولاً فإن وجد فيه يؤخذ وعليه يعول، ولا يحتاج معه إلا مأخذ آخر، وإن لم يوجد التمس من سنة رسول الله ﷺ، على هذا أقر النبي ﷺ معاذاً حين أرسله إلى اليمن، وبهذا كان يتواصى الخلفاء والأئمة من الصحابة والتابعين^(٣).

وتظهر في منهجه في تفسير آيات الأحكام الميزات الآتية^(٤):

أ- بيانه لحكمة التشريع وما يهدف إليه من سعادة الإنسان، فقلما يمر صاحب المنار بآية من آيات الأحكام إلا ونجده ينبري ببيان ما تشتمل عليه من مصالح للفرد أو للجماعة سواء كانت روحية أو مادية، نجد هذا واضحاً في آيات الحج والصوم والقصاص وغيرها، وهو في أثناء ذلك كله يبين عظمة الإسلام، ويرد كل ما يعرض له في طريقه من شبه ومطاعن مظهراً صلاحية الأحكام بل تفوقها على ما عداها.

ب- عدم الالتزام بمذهب فقهي معين.

(١) عبدالرحيم، عبد الغفار، الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير، ص ٢٣٣-٢٣٤.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج ٥، ص ١٢٠.

(٤) عباس، فضل حسن، اتجاهات التفسير في العصر الحديث، ص ٢٩٠.

ج- استعانت به بما ورد من الأحاديث وآراء السلف في تفسيره لآيات الأحكام.

وبناءً على هذا الأساس وهو أن القرآن هو الأصل الأول للتشريع فقد رأينا بعض الآراء الفقهية التي تفرد بها المنار أو خالف جمهور العلماء، كإباحة التيمم للمسافر والمريض ولو استطاعا الماء. كما خالف الجمهور في معنى الإحصان في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ (النساء: ٢٥). كما خالف فيما حرّم من الأطعمة فجعلها محصورة بما ذكر في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خْتِيرٍ..﴾ (الأنعام: ١٤٥)^(١).

سابعاً- عدم تجاوز النص فيما ورد مبهماً في القرآن:

لقد سكت القرآن عن كل ما ليس فيه عبرة للمسلمين، فلم يبين مثلاً بعض البقرة الذي ضرب به الميّت، ولا مقدار الثمن الذي يبيع به يوسف.. إلى غير ذلك من المسائل الكثيرة التي أجملها القرآن. فكثرت أقوال الناس فيها، مما أدى إلى تسرب الخرافات والإسرائيليات إلى كتب التفسير.

وقد تنبه إلى ذلك كثير من العلماء القدماء كابن كثير وابن تيمية وابن خلدون وغيرهم، لكن تفسير المنار كان له الفضل الأكبر في هذا العصر في التنبيه على ضرورة الوقوف عند حدود النص وعدم تجاوزه.

ثامناً- حملته على البدع والخرافات والتحذير من الإسرائيليات:

لقد حمل صاحب المنار حملة لا هوادة فيها على الأساطير والخرافات التي فسرت بها كثير من هذه النصوص المبهمة، كخوض بعض المفسرين ببيان نوع المائدة التي نزلت على عيسى عليه السلام، أو عدد الألواح التي أخذها موسى، أو وسيلة إغواء إبليس لآدم عليه السلام، ومثل هذه الأمور كانت من أسباب ذبوع الإسرائيليات، ومن أكثر

(١) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج ٨ ص ١٤٩.

الأسباب الصارفة عن هداية القرآن وحججه الواضحة. ولم تكن حملته على البدع بأقل منها على الإسرائيليات، فانه لا يدع فرصة تمر دون التحذير منها، وأنها من أسباب ضعف المسلمين وتأخرهم.

تاسعاً - محاربة التقليد:

أراد الإسلام من الإنسان أن يتحرر من قيود التقليد الأعمى، ومن السير على سنن الآباء والأجداد أو الخضوع لأي سطوة أو سلطان من غير علم ولا برهان، فقال تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾ (البقرة: ١٧٠).

من هنا اشتدت حملة المنار على التقليد والمقلدين، يشهد لذلك ما جاء عند تفسيره للآية السابقة^(١)، ولقوله تعالى: ﴿أو كصيّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت..﴾ (البقرة: ١٩)، وغيرها الكثير من الآيات^(٢).

عاشراً - بيان سنن الله في الكون و الإنسان والحياة:

لعل من أعظم ما اتصف به تفسير المنار، إرشاده إلى سنن الله وكونها لا تتخلف، ففي معظمه نجد ما يلفت المسلمين إلى واقعهم السيئ، وإلى المسافات الشاسعة بين هذا الواقع وهدى القرآن، فهو يشخص الداء ويصف الدواء، ويستحث المسلم على النهوض بأوضح عبارة وأحسن أسلوب، فيقول: "أمامنا عقبتان كؤودان لا نرتقي عما نحن فيه إلا باقتحامهما، وهما الكسل وتسجيل القصور على أنفسنا بجهل قيمة نعم الله تعالى علينا، وصاحب هاتين الخلتين يمقت كل من يرشده إلى الخير ويهديه للحق لأنه يكلفه ضد طبعه، فلا يرى مهرباً من الاعتراف بضلالة وغيثه، إلا بالقدح بمرشده وناصحه"^(٣).

(١) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج ٢، ص ٩١-٩٣.

(٢) انظر تفسير الآية ١٢١ من سورة البقرة والآية ٣٨ من سورة الأعراف.

(٣) المرجع السابق، ج ١، ص ١٨٣.

وقد زخر تفسير المنار بشرح هذه السنن وآثارها كي يستيقظ المسلمون من سباتهم، وينهضوا من كبوتهم، وينفضوا عنهم غبار اليأس المتراكم ووعثاء الغرور والتمني، حتى إننا نجده يعقد فصلاً في ذلك منها ما نراه في خلاصة تفسير سورة الأعراف، إذ يفرد باباً في سنن الله تعالى^(١).

الحادي عشر - الاهتمام بالعلوم الكونية وتسخيرها في فهم الآيات القرآنية:

ليس من غرض القرآن شرح مسائل العلوم والفنون الكونية؛ لأن هذا ليس من مقاصد الدين، إلا أن فيه ذكر محاسن المخلوقات وعجائبها، وما يؤدي إلى معرفته سبحانه، والتنبية على حكمته تعالى.

والناظر في تفسير المنار يلمس إلى أي مدى استطاع أن يضع هذه الحقيقة في موضعها الصحيح، بحيث لا تطفئ تلك المباحث العلمية على المقصود الأول من القرآن وهو الهداية والإعجاز، وقد استطاع تسخير المكتشفات والمخترعات العلمية في تعميق الشعور الديني لدى المسلمين، وفي الدفاع عن العقيدة ضد أعدائها ببيان موافقة القرآن الكريم للحقائق العلمية الثابتة، فكان في ذكرها مصلحة للإسلام والمسلمين، إذ تدفعهم إلى النهضة وتلفتهم إلى جلال القرآن، وتحركهم إلى الانتفاع بقوى هذا الكون الذي سخره الله لنا انتفاعاً يعيد للأمة الإسلامية مجدها^(٢).

ومن أمثلة ذلك ما جاء في تفسير المنار تحت عنوان -إعجاز القرآن بتحقيق مسائل كانت مجهولة للبشر- فقد بيّن صاحب المنار أن القرآن الكريم قد اشتمل على تحقيق كثير من المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن معروفة في عصر نزوله، ثم عرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون وتاريخ البشر وسنن الله في الخلق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأرسلنا الرياح لواقح﴾ (الحجر: ٢٢)^(٣).

(١) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج ٩، ص ٥٧٦-٥٨٠.

(٢) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية ط ٣، ج ١، ص ٥٧٠.

(٣) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج ١، ص ٢١٠، ٢٤٩-٢٥٠.

الثاني عشر - الاعتماد على العقل وتحكيمه في فهم النصوص القرآنية:

هذا أساس واضح المعالم في تفسير المنار مما حدا ببعضهم إلى نعتهم بمعتزلة العصر الحديث^(١)، أو إلى وصفهم بأنهم أرباب المدرسة العقلية الحديثة، ولعل احترامهم للعقل يرجع إلى نظرهم إلى أنّ الوحي والعقل كلاهما أثر من آثار الله في الوجود، وآثار الله تهدي إليه وتدل عليه^(٢)، لكن المبالغة في الاعتماد على العقل أدت إلى ظهور بعض الآراء المتطرفة في تفسير المنار.

الثالث عشر - دفاعه عن الإسلام ودحضه لشبهات أعدائه:

امتازت الحقبة الزمنية التي ظهرت فيها مدرسة المنار بالهجوم المركز على الإسلام عقيدة وشرعية ونظام حياة، ذلك أن فتنة الناس بمدينة الغرب وطفرة المادية كانت على أشدها، زد على ذلك ما أصيب به المسلمون من هزات عنيفة في الحرب والسياسة والاقتصاد وغير ذلك من مرافق الحياة، فلا بد إذن أن يشمر كل عالم عن ساعد الجد، وهذا بالفعل ما كان من الأستاذ الإمام وتلميذه رشيد رضا، فلم يدعأ فرصة تمر إلا ونافحا فيها بكل ما أمكنهما الله من بيان وحكمة، ودحضا الشبه الباطلة التي يشيعها أعداء الإسلام قديماً وحديثاً، فقد وقف الأستاذ الإمام سداً منيعاً أمام طروحات "فرح أنطون" وهانوتو وزير خارجية فرنسا.

ودحض رشيد رضا شبه المستشرقين تارة، وكشف زيف افتراءات الكنيسة تارة أخرى، وصحح العقائد المزلة في نفوس المستغربين ثالثة، وبيّن خطورة المذاهب الدخيلة والتحل الباطنية، كالبهائية والقاديانية وغيرهما. وكل ذلك بأسلوب واضح وحجة دامغة. مضمناً ذلك كله الميزات التي يمتاز بها هذا الدين، ورد على منكري الوحي عموماً ومنكري رسالة الرسول محمد ﷺ خاصة، وبيّن أن الإسلام دين الفطرة والعقل، كما رد

(١) الجندي، أنور، يقظة الفكر العربي في مواجهة الاستعمار، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ١٦٣. الرومي، فهد عبد

الرحمن سليمان، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

(٢) شحاتة، عبد الله محمود، منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم، ص ٨٣.

على منكري الجنّ - وهذا يدحض ما اتهم به من أنه منكر لوجودهم - وكذلك وضع سبق الإسلام في تحرير الرقيق والمرأة، وتكلم عن مقاصد القرآن في تربية النوع الإنساني، وأظهر عظمة القرآن في ما شرعه من نظم مالية وحربية وسياسية وغير ذلك^(١).

الرابع عشر - الاتجاه العقدي في تفسير المنار:

لقد امتاز الاتجاه العقدي في المنار بميزات أهمها: إبراز مميزات العقيدة الإسلامية وتوضيح أهدافها. والتحذير من الاغترار بالأمان. ودعا إلى عدم الالتفات إلى أسباب النزول في تفسير آيات العقيدة. والدعوة إلى الدفاع عن العقيدة ورد الشبه والافتراءات عنها. وكانت هنالك دعوة صريحة إلى التركيز على أن الإسلام دين العقل. والابتعاد عن التعصب المذهبي، وجمعه بين مدارس الفكر الإسلامي المختلفة. وأخيراً اتّصف هذا التفسير بتأثره بالحضارة الغربية.

وعلى الرغم من القيمة الكبيرة لتفسير المنار إلا أن عليه مآخذ عدة منها:

- أولاً: أنه بالغ في بعض القضايا إلى درجة التطرّف، كالثقة بالعقل والحضارة الغربية.
 - ثانياً: كثرة الاستطرادات التي ليس لها صلة بالتفسير، فكتابه الوحي الحمّدي، مأخوذ من تفسيره.
 - ثالثاً: طعنه في أحاديث صحيحة أجمعت الأمة على صحتها، في سبيل إثبات ما يراه من أفكار.
- لذا فالكتاب بحاجة إلى مزيد من الدراسة لما يحويه من أفكار جديدة بالاهتمام، وأن لا يحجبنا ما فيه من هفوات عما فيه من فوائد جمّة، وتوجيهات سديدة، وهذا دور الجامعات في توجيه طلبتها للإفادة من هذا التفسير.

(١) عباس، فضل حسن، اتجاهات التفسير في العصر الحديث، ص ٢٣٤، ٣١٦.